نعمان حباسي

شقائق الشيطان

رواية

ميّارة للنشر والتوزيع
MAYARA PUBLISHING & DISTRIBUTION

المؤلّف : نعمان حباسي
عنوان الكتاب : شقائق الشيطان
تصميم الغلاف: ميّارة غرافيك
لوحة الغلاف: الفنان التونسي عمار بلغيث
الإخراج الفنّيّ والتصفيف الداخليّ: ميّارة غرافيك
الناشر: دار ميّارة للنشر والتوزيع
محضنة المؤسّسات برقّادة، المكتب عدد1، القيروان
الهاتف: 21880445 / 99095008(216+)
البريد الإلكتروني: mayara.editions@gmail.com
الطبعة الأولى: تونس 2021
السحب: 1000 نسخة
ر.د.م.ك: 978-9938-31-050-4
جميع الحقوق محفوظة ©

الثمن داخل تونس: 15 د.ت
الثمن خارج تونس: 15 أورو أو ما يعادلها

صدر هذا الكتاب بدعم من صندوق التشجيع على الإبداع

إهداء

إلى أبي عزتي وعزوتي
إلى أمي وزوجتي حبّان لا يتشاركان مهد الحب ومنبعه
ودفق الحب وسيلانه
إلى أيثم الروح ومبعث الوحي إلى دغدغة الأيهم وبركة الانبعاث
إلى روح إخوتي وإلى أخي الصدق مراد دافعي وداعمي
إلى الخلان حبا وإلى الهوامش بقايا المتن..

الانشقاق

رواية حالمة واهمة، مبدئيّة الموضوع مركّبة الصورة تبحث في دواخلنا، ربما عن نقصنا أو كمالنا، لا منهج ولا أساليب في تطبيقها، إنما هي وحدة مجزّأة متكاملة تنفر من الواقع وتستجدي الحلم والوهم. كلماتها عابرة، سيئة التعبير، غِلْظَةُ المشهد سليل الوجع.

صورة رديئة لبصيرة معتمة عمياء، لن تسمع ولن تنحني إلا بانقلابها حول ذاتها، قبل التشريع لها في ملحمة الاقتتال مع واقعها.

احتمال الاصطدام وشيك، ينبع من وحدة الشكّ وجمهرة الصدمة وبصيص النور القائم ضمن قتامة المشهد وعتمة الرؤى، سبيل الفرد لا يعدو حلمه أوْ وَهْمه ولكنه واقع ضمن الأمل ومنطلق منقلبات الجسد والروح على الطبيعة.

التجريب فيها بحث، والبحث من خلالها تجريب، انتظم من الكتابة في الوجود، ووجد من الموجود في الكتابة، علّهُ يتمرّدُ عليه، علّه يَعْدِل عن «كنائس النقد» أو يسكُنُهَا.

الفصل الأول:

اللعنة

«الوعي بالزمن مؤامرة على الزمن»

إميل سيوران

الطّقس دفء والخراج كثير واحتفالات القرية لم تتوقّف منذ أن أصابتها لوثة القراءة الملعونة. دويُّ العقول صداه مرتجفٌ وثقافةُ الأمّةِ نورُها ظلامٌ، قراءةُ الجمع لا إِجْماع حولها ولهفة المقروء تستقوي على قارئها، كلّ يتوهّمُ الفهم وهاجس التمكّن مكّن الوهن الغوص في نظم التفكير والتدبير. الجميعُ اِجتمع على سفح جبل لا يحدُّهُ البصرُ كأنّه القيامة؛ غليظ، أخشب، صَلْد، «نباته كالإبر»[1]، تعلوُه قمّة كالسّراط، تحتها فوهة كالبركان، لا هي بالنّور ولا بالظلام، بياضُها سوادٌ، وحُمْرَتها لا لوْنَ لها. بجانبها صَخرةُ الدّهر الأبديّة لا تَتزحْزحُ. ومنها تتوالد صُخور قبيحة، قميئة، دنيئة تُثِيرُ الأبَدَ وتمحُو المسارب وتكتُب اللاّطريق. عنوانها مفقود وثناياها مُريبة لا تدخل حيّز الجغرافيا ولا يؤمّها إلاّ تاريخ المصير المعلّق المتبقي فوق دوائر الفيزياء وخارج نظم المنطق.

وفي التّحت المُطمئن خليط عجيب وجمْعٌ غريب لا يجتمع مطلقا، أجناس مختلفة متناغمة متفارقة يجمعها الِاختلاف ويقرّبها تباعد التفكير وينظم اصطفافها عدميّة المعرفة وادّعاؤها. غير بعيد عنهُ كان «ثاني اِثنين»[2] لا يلتقيان أبدا، الأوّل قذرٌ، خبيث، لا يبذل جُهْدا ولا يبنِي بيتا، يزحفُ كالموت من

1) من مسرحية السد لمحمود المسعدي.

2) سورة التوبة الآية 39.

أجل لقمة العيش لا يترك شيئا ولا يتقزّز من أمْرٍ. والثاني حيّرَ الموسُوعات والمعاجم والكتب، فلم يُلفت اِنتباه اِبن خلدون ولم تُدوّنه «الإلياذة» ولا «الأودِيسا» رغم بُطولته، اِسمُه مَوْضِعُ خِلاف، لذلك لَمْ تَرَهُ في الكتب السّماويّةِ. هو كالبَشَرِ وما هو بالبشر؛ حيوان أو نصف حيوان، يُتابع كلّ شيء ولا يفرّط في أمْرٍ، ولا ينطق إلا الصمت. مُطمئنّ اِطمئنان المُفكّر، هادِئ هدُوءَ الجبل، آمن أمان الصّخرة، لا يُشغَل خاطرُه ولم ينشغل قطّ. تراهُ اليوم بلا أمن ولا أمل ولا ألَمٍ.

النّساء يتقاطرن علما وحكمة، تفوح منهنّ رائحة الصّمت، وسط الحانة الكبيرة، التي شُيّدت لتُلحق القرية بمصافّ العالم المُتقدّمِ، وقد فعلت. أنواعٌ من الخمور والعُطور والصّقور التي تترصّد اللاّشيء. وجَلابيب تناثرت وغطت عُرْيَ الرّجال المسكونين بالشجاعة، المُحمّلين بالسّيوف، النّاطقين شعرا ونثرا وما بيْنهما. يُشيّدُون ويصْنعُون، يبنون وهم الأعْلُون، يدْخلون ويخرجون، يأخذون بأيدي نسائهم إلى الجنة الفانيةِ، يقاتلون بجميع أنواع الأسئلة لتحقيق نظامٍ دقيق جعل الإنسان ربًّا.

جموع أجمعت على البقاء بكل الأساليب والوسائل، غمرها قبح المسعى وأَسْدَل عليها الستارَ حبُّ المصلحة. أوكلوا هموم الأموال إلى نوابغ الزيف، فأردفو لغوًا حيف الزمان. نالت مطامعهم جداولَ من النهم عرفا وقانونا، فتاهت بهم وأصبحت مدنهم مدن الضياع. أقاموا الحدّ ونبشوا الحفر حفْرا بحثا عن الحقيقة توهّما، وعن الكنز ترهّلا، وعن المعرفة تزهّدا،

فما كان منهم إلاّ أن أظهروا الشقاق، ونالوا الفراق، وأقامُوا العبادة عملا فلم يعملوا صالحا.

أطفالُهم واجمُون كأنّ على رؤوسِهم طيرًا، لا يُوحي بحياتهم الميتة سوى بعض أنفاس تتوالى صُعودا ونُزولا، تعقبها زفرات حلوة حلاوة التأمّل في الحياة، مُرّة مرارة الموت المُريب. يَعلُو الزّفرات ويسقيها جفافُ الصّخب فتُنبتُ زهرات لا عِطرُها الطّيبُ ولا الرّائحَة الكريهةُ. إنّها العَدَمُ؛ عدم المبنى وعقم المعنى وسقم المنفى، حياة الرّتابة التهمت الجهود، وزرعت شوك الوجود، فأنفت القلوبُ مرايا العيش. الكلّ مُتوجّس، حائر، تائه يحدوه اللهو والترف وينشد رغد العيش بعلم وبلا علم. قماءة اللاشيء تلتفّ أكثر وأكثر من حوله، وتزيده اختناقا، وتنفث السمّ في شرايين حياته.

ومن شَتّى أصْقاع الحياة ودُروب الوُجُود يبحثُ الكلُّ وسَط الكلِّ عن الكلّ عَسَاهُ يجدُ ثغرة ليُعَانق كِتابا. فالحياة كتاب واقعها خيال وخيالُها حقيقة، وحقيقتُها مَسَارُ تجربة وتجريب.

لعلّ قراءته منفتح ولعلّ في حفظه فتحًا لأبواب الحياة. ربّما هو طوق النجاة وطوّافة العبور إلى ما بعد، الكلّ ينتظر ويتربصّ، يبحث عن ملاذه في قراءة مآله وفي صياغة حياته ضمن أحكام كتابه، لكنّ النسج رديءٌ والرأي السائد طريقه ضيّق وسبله منعدمة، وبوّابته مغلقة. الكتب متناثرة، «منثورة»، «مبثوثة». لعلّ أمرًا سهلٌ في الانتقاء صعب في التطلع والارتقاء.

شيخُ القرية يُنادِي في ذهول مُنتَبِهٍ: «لِكلّ أجل كِتَابٌ».

أصوات باعة الخُضار والجزّارين والموادّ الغذائية والوسائل الإلكترونية بانسجام غريب لأوّل مرّة تصْدَحُ: «كتابُ فنّ الطبخ»، «يَجعلُ العالم عوالمِ مُمكنة ويقودُك إلى السّعادة الأبديّة». قُمصان ولحى ومحراب صُنِعَ من بارود مُعفّرٍ برائحة الدّم: «كِتابُ عذاب القبر يزيدُ الخراج». المُثقّفون يلهثون ويُنادُون: أيّها الجَمْعُ «الأسْودُ يليقُ بك»[1] أفضل، و«اِنتِصَاب أسْوَد»[2] أحسن.

دَويّ وصِياح وزقزقةُ طُيورٍ تهتف لأمْرٍ مّا: «اِقْرأ»[3]، وفُوكوياما أُصيب بغضب كبير شامت لأنّ كِتَابه لَمْ يَجِدْ رواجًا رغم لوثة القراءة العجيبة، فزمْجَرَ وصاح ونادَى ولا من مُجيب، فازداد الغضب، وقويت الشماتة وسط تعالي الصّياح والثّغاء والشهيق والزّفير وأمر جُملتَهُ: «أُخْرُجي بأمْري أنا ربّك». فخرج العُنوان «نهاية التاريخ»[4] مُطيعا. وقفز فوق الرّبوة حيث مُواجهة الجُموع وعلى مرمىَ من فوهة الجبل. تأكّد من خلوّ المكان رغم الجمْعِ الكبير، فنفخ في السّحاب والبَحْر، وأمَرَ ريح الزلازل، فانطبقت القرية على نفسها مَوتًا بُركامِ الحُزن والفَرَحِ والبُؤسِ والشوق لآخرة غامِضة جليّةٍ. فقُضِي الأمْرُ، وعمّ الصّمت، واِنطلق الكلام، وتفحّمَت الجثث، وتناثرت

1) الأسود يليق بك: عُنوان كتاب لأحلام مُستغانمي.
2) انتصاب أسود : عنوان كتاب للرّوائي وأخصائي علم النفس أيمن دبّوبسي.
3) من سورة العلق، من الآيتين 1 و2.
4) نهاية التاريخ والإنسان الأخير: كتاب الأمريكي فرانسيس فوكوياما نُشر سنة 1992 وكُتب سنة 1989.

الأشلاءُ. وِانتهى النّص، وبدأ الكتاب.

في لمح البصر اِختفى كلّ شيء وسط فتحة الجبل الملعونة، وحَدَث اِنفجار عظيم حَمَمُه ليست برقا ولا رَعْدا ولا نارا، بل هي ظلام وقَيْحٌ وعَار، واِنتشر الرّكام، فكان لا شيء سوى أشلاء الإنسان. اِنتفى الزّمان والمكان. عُرِك عَجينُ الحياة بالموت، غابت الرّوائح والرّيح، لا شمس ولا قمرَ ولا نُجوم ولا مَاء ولا هواء، لا ظلام ولا نور. سيل من الطوفان وما هو طوفان، لا ماء يقوده، أشبهُ بالطاعون، تغذّيه روائح الكره، ويعتكف زواياه عفن البغضاء، أشبه بِسعير النار، شبيه بصَقِيع البرد. دبابيره سقيمة مُدَبّبةٌ لا نجاة من وخزها ولا مفرّ من صدّها. جبال عتيدة، معوجّة، شموخها زال واندثر، عُمقها السماء أو هي السماء عَجّلَت بقربها وسقوطها تحت اللاّشيء وفوق العدم، حذو القفار أسوة بدمار المعقول، وخراب الموجود وعدم الوجود. مرتكزات سُحِقَت وصفات مُحِقَت، وانقلب السحر على الساحر وبان نور السواد في عَتَمة اللاّشيْء، وتوهّج العقم والسقم. توقف النبض وتعالى صراخ الأرواح وأصبح المكان فناء. جثث أشبه بالقربان وصناديق مُفْرَغَةٌ، شفّافة، بياضها كفن، وسَوَادُها زُلْفَى إلى ما لا نهاية.

غاب الخير والشرّ. وتاه الجَمال والقُبح وَسَط أنهار الدّم. لا حبَّ بعْدَ هذا الفَناء، ولا كُرْهَ بعْدَ دويّ «نهاية التاريخ» الذي وصل مداه أرجاء الكون وأطراف المعمُورة.

ولأمر مّا ظهر شيء كالسّراط وما هو بالسّراط، كالطريق

وليس طريقًا، كالهاوية غير أنه لا قاع له. على حافّته الحادّة المُحدّبَة نُقطتان أو شيئان أو نجمان، حيوانان أو علامتان أو أمارتان، المهمّ أنّهما اِثنان يَنْسَابَان على السّراط كالطّوفان، بلا زاد ولا ماءٍ ولا مكان، فرِحَان حزينان، رُوحان جسدان، مُثقّفان جاهلان، حيّان ميّتان، لا يعلم الخيال من أمْرَيْهما شيئًا إلاّ أنهُما مَوْجودان. رموزهما منقوصة وأعضاؤهُمَا مبتورة، أو أنّهما من أرض الميعاد. ربّما أتى بهما جحيم النار، هل هما زبانية، أو طيور أبابيل، لا هيأة لهما، ولا صورة تعبّر عنهما. يأجوج ومأجوج القادم، أو قابيل وهابيل الماضي، لا رائحة تُظهِرُ عنوانهما، ولا مظهر يكشف تفاصيل طوافهما في العدم. أملائكة المدينة تحوم إنذارًا؟ أم أطفال إبليس تتشفّى وتلهو بعبث الدمار؟ ما من دليل، ما من نذير. أهما بقايا جنود الوهن؟ أم رؤى حاضر مُنتَهٍ؟ أم أنّهما صُورَتا المستقبل بلا صورة؟

انتفض الخيال، وانساقت مكامن الحيرة في أرجائه صارخة منادية. قال في قلب اللاّشيء: «قاطرتُنا مستمرة وممحاة القضاء الجازع تعترضنا. فإما علامات مقتنا أو سبل إرادتنا «ألهاكم التكاثر» سيل من فيض لما نعيشه ونعايشه، آية معبِّرة وصورة مصطفاة لحروب الذلّ والمهانة وتضخّم الدول حدَّ الانفجار، نقطة مدَوية في تاريخ البشرية تأبى إلاّ أنْ تغوص بنا في منزلة الإنسان، وتقودنا إلى المراجعة والتمحيص في إذلالات الكون ومتاهات الدنيا وانفصام التقدّم. فالقمّةُ أحيانا مدعاة للسقوط المدوي. بل هي مرحلة متأخرة تنذر ببدائية الإنسان. فنحن

الآن بسعينا نحو القمة، وجدنا أنفسنا أسفل الدرك. بل إننا لم نؤمن بما أُنعِمَ علينا به واستسغنا طرائق وأساليب مهينةً لأنفسنا لبلوغ نهايتها. فهل نحن بمأمن من أنفسنا؟ وهل نحن فعلا موقنون بأننا حدّ الوقوف على نهايتنا؟ البحث عن الحقيقة مؤلم أحيانا، وألم المعرفة أشدّ عندما يكون الموضوع بحثا عن التسيّدُ لا للإفادة، وعندما يكون السعي مشكوكًا في مساعيه فإن العاقبة مؤلمة حدّ عدم التنفّس، أعن الوباء أتحدث أم -ربّما- عن نحن؟!

أن تكون عالما بالأشياء، فهذا فضل وجزء من نقمة. هذا هو التوازن بدُرّه ونِعَمِهِ. تفاضليّةُ منطلقات التوازن تجمع الأضداد والمرادفات ضمن الخيط نفسه وتسحب الإنسان إلى الشّخصنة عبر التأليه والتكفير. هي الذات البشرية تبحث عن مقوّمات تُشيِّئُهَا عبر ضبط معادلات المفردات وإثارة المدنّس والمقدّس حتى في فرضيّات العلم، ألسنا المكوّن المهمّ والأهمّ، الباني والهادم لعوالم الفرضيّات؟ ألسنا في بعدنا الواقعي داءً لا يستقرّ، يحمل الاحتمالين في معادلة الخلق؟ لنا قوانين نصنعها في لحظات اليأس حتى لا نعدو في قتامتكم من غير علم.

ما إن بلغ أوّل السّراط حتّى مال به وتمايل وتلوّى كالثعبان وانقطع الجُزء الذي وطأتْهُ الفكرةُ. فنظر باللاّشعور إلى التحت فلم يجد غير الظّلمة. أدْرك أن السّفح دائما عدم وعتمة وسُكون مُميت. ثمّ شدّهُ الخوف فتعلّق بِما بقي من الحافّة التي أدمَتْهُ وآلَمَتْهُ لكنّها أدامتهُ.

اِستغرب وتعجّب من سُهولة رُكوبِ الصّعاب من قبل النّقطتيْن، فقرّر أن يطير للّحاق بهما عسَاهُ يظفرُ بِهِمَا وبالحياة بين رُكامِ الموت واللاّشيء. وبنظرة فوقيّة نحو التّحْتِ رأى أمْرًا جللاً؛ رأى جُثَثًا على اِمتداد البصر لا يَحُدّها الفضاء، واشتمّ رائحة الموت والجيف تسدّ الأنوفَ وتفتحُ شهيّة الغثيان والقيْء. تأمّلَ الجُثث وسط الملامح المُشوّهة فأدرك أنّها خليط عجيب من البشر، تبصّر بعضها، فأدرك أنها من أهل القرية المنكوبة. غابت ملامح الآخر، فتيّقن من الفناءِ، وأنّ الحياة لمْ تُكتب إلاّ للنّقطتيْن العجيبتَيِن وله، فهو الخيال الذي أعطى الواقع رونقا واستشرف المستقبل عندما كان للحياة وجودٌ، وهاهو اليوم مشدوه حائر يشاهد العدم بلا حيلة أو حلٍ. إنّه أسير التجربة فحسب.

حدّق بعيْنيْه، واستنجد بعُصَارة الذاكرة، وأرْغم إرادته على أن تبلُغ المُنتهى في كشف حقيقة الشيئيْن، وأحضر أسْئلة «الشك» المنهجي فتوالدت اِحتمالات شتّى: لعلّ هذيْن آدم وحَوّاء؟ لعلّهُما الحَياة والموت؟ رُبمَا الدّنيا والآخرة؟ قد يكوُنان الزّمان والمكان؟ أو ربمّا الوُجُود والعدم؟ وفجأة دَوّى صَوْتٌ مُرعِبٌ وسطع نُورٌ أَعَمْى أبصَارَ الجثث. وعَادَ العَدَمُ.

سَكَنَ صوتُ النّقطتيْن وأحَاط بهمَا النّورُ دُون سِوَاهُما، فتبيّنت مَلامِحِهُما، وأصْبحت صُورتهُمَا جليّةً. إنّهمَا مُراقِبا القريةِ ينجُوان من بين جميع مخلوقات الكوْنِ. الأوّل ذلِك الخبيث القذِرُ نَذيرُ الشؤم، طائر الوقواق، ذلِك الطّائر الذي عرّفته

البشريّة زمَن وُجُودِها بكوْنِهِ اِنتهازيّا مُستغلاّ أنانيّا لا رَحَمة في قلبه ولا شفقة، تنتفي منه المَشاعرُ والأحاسيسُ عَكْسَ الإنسان رمْز الخيْر. هو شرّ مُطلق لا خيْر فيه، لأنّه لا يهتّم بِرعَايةِ صِغارِه. فهو يضَعُ بيْضَهُ في عُشّ طائرٍ آخر ليتولّى أمْرَ تفقِيسِهِ ورِعَايةِ فراخِه التي تفقسُ قبل غيرها وتقذف بالفراخ الأخرى إلى خارج العش لتبقَى وحْدَهَا وتسْتأثر بكامل الغذاءِ، نقيض الكائنات البشريّة التي تحفظ الجميلَ، ولا تنتهز الفُرصَ للغَدْرِ، ولا تتسلّقُ من أجلِ مَنصب أو جَاهٍ. والثاني هو القرْوَدَحُ، قرد الجيلادا أو بابون القلادة، شرس، قاتم، ضخم، لا طعام له سوى العشبِ، سبيل تواصله مع مجموعته فنّ معقّد؛ مزيج من النغمات والضوضاء، لا يشرد منها أحد. فإذا جَنَّ ليله لجأ إلى المنحدرات الصخرية للاِحتماء.

دَاخِل هالة الضوء يظهر الفعل ويتبيّن الجُهد وتتجلّى التجربة. ضرورة البقاء تحتّم النبش بين الجثث وفيها للحُصُول على ما يَسُدّ الرّمَق. وأمَام اِنعدام المكان، والعدم واللاّشيء لا يجد الرّفيقان بدّا من أكل لحم البشَرِ في ذلِك الزّمن، علّهما يظفران ببعض حياة. وفعلا أكلا دون غثيان أو قيْء، بشهية مفتوحةٍ وبُطونٍ لا يَمْلَؤهَا شيْء، يتلذّذان ويَمطّان الشفاه فِي اِنسجام غريب بين الفوضَى العارمة.

ينخفض الضوء دُون أن يصيرَ ظلامًا، يصّاعد من الرّفيقيْن دُخان لا يُشبُه الدّخان، فتتبدّل السّاقُ بالسّاقِ، واليدُ باليدِ، والصّدرُ بالصّدْرِ، والجذعُ بالجذِعِ، والعينُ بالعيْن، والرّأسُ

بالرّأس. ينتفضان مَوْلُودَيْنِ بهَيْئة الكبار ويلتَقطِانِ من جثّة تتأوّهُ مَلَكَةَ اللغةِ، فَيُدْرِكان عظمَةَ الخلق في الأسطورة عندمَا بلبَلَ الخالق أَلْسِنةَ من يَبْنُون السّورَ، فانهارَ الخلقُ أمَام الخَالِقِ، ودُمّرَت القُدرةُ بالقُدرَةِ، وأُعْدِمَ البقاءُ للبقاءِ.

أخذا من كّل جثّةٍ قدْرةً فاختزلا الزّمَن والتّاريخ دون الجغرافيا، وتراءَت لَهُمَا الجثث مملكةَ البشريّةِ مُنذ «التفّاحة» و«الاِنفجَارِ الأعظم» و«النشوءِ والاِرتقاءِ» و«العصُور الغابرةِ» و«المشاعيّة» وجَدل الإنسان...[1] فقال طَائِرُ الوقواق دُون أن يرفَعَ رأسَهُ عَن مملكة الجُثث وهو العالم بطريقة الفناءِ: «قرارات ساقطة سقوط مواقفكم، تشبيك الأوّليّات وتشتيت الجهود وتشرْذم العام والخاص، مفادهُ السقطة بتركيبها اللغوي وفظاعة معناها وعمق وصفها لرداءة المنجز. الارتجال فن، والخطابة ممارسة الفن والتطلع إستراتيجيا، والتثبّت وسيلة لمعالجة القضايا بفن الإستراتيجيا والتكتيك. «فلا حول لكم». أنتم لم تقدروا حتى على مواقعة الواقع بعيدا عن فعل الجسد، فكيف لكم أن تواقعوه فكريا؟ قرارات حمقاء، مواقف واهية، تصوّر ميؤوس منه، منقوص داخل متاهة الانعدام، اِنعدام الفكر والرؤيا والتخطيط، سياسة الوهن قد تُعظِّم بوتقة الجوع، وتأتي على حظوتكم منقلب ما اقترفتموه. رعوانية ما تفعلون تقودكم إلى منزلة الأسفل ليدويَّ سقوطكم فانتم تهدمُون ولا تبنون. حيثيّات التعمق في الأزمة إلى حدّ الصحوة على الأزمة الكبرى،

1) مَا وُضِعَ بين ضفرتيْن يشير إلى محاولات فهم البدايات بطرائق مختلفة.

دلالة سيّئ التفكير وعديم البرمجة والإستراتيجيا، فلو آمنّا بما نحن عليه، لما وصلنا، وما توصّلنا إلى ما نحن فيه، سياسات عمياء، موازنات فاقدة للحس والبصيرة، أفواه مكمّمة فعليا ونقديا، أياد تبحث عن بريق العفّة، حتى الوباء لن يقدر على تلميعها.

مُكرهات مُبكيات مُضحكات

هكذا هي سياساتُنا هكذا هي إستراتيجياتنا، مفخّخة مفعمة بالسم، مرتدية ثوب «الدّماثة».»

وما إن أنهى الوقواق حديث مكتسبات فريسته، وفلسفة ملكة الروح التي جدّدت خلاياه حتى تحرّك القرودح وجمع بعض جثث رتّبها على شاكلة طاولة مستديرة مهيَّأة للاحتفال بالجدل، فانتفض فيه نسق العقل الراجح، ونفخة الفكر المتجدّدة من جماجم ما عُمِّرَ به من إعادة البعث، وخطب مردّدا ترديد العارف بالشأن العام: «حالة من التّشكيك والتشهير والتسلط غداة زمن أقل ما كان يضمنه وحدة الصف ولحمة الجمع. سيلان من الزيف وملاحقات واتهامات صادمة واهمة مركّبة حدّ ركوبها، صادقة موجّهة في بعضها، لكنّ الأهم ذرّ الرماد على الأعين وتصوّر غير بريء كمرتكبها وراكبها ومفتعلها، كلّ منهم يبحث عن مخبإ قاتم قتامة المشهد وعتمة ما بداخله. مفهوم الضحيّة تجلّى لا من خلال تبيانه ولا من خلال كيانه وإنّما بافتعال الفعل والفاعل والمفعول به، فحتى اللغة لم تقدر على جمعهم في صيغة المرتكب. إنها أزمان البطولة الخافتة،

وصراع المبتذل، والمشهد الهش الذي تنشر فيه الإشاعات والإشعاعات كمبدإ في زراعة الوطن، فدونها ودونكم أبعاد، فلا فعل فيما أنتم فاعلون.

مدلولية الإنسانيّة من خلال حماقات البشرية: نظرية الخضوع والتسلط أو التفرد والانسياق. انعتاق الإنسان وتعنتهُ صُلْب كل مفردات القيود أو احتباس البشرية ضمن منظومة الاصطفاف وراء جزئيات الحياة، دغدغة مفهوم الموت والحياة وأسبقية الخالق على الخلق تفرض علينا المصادقة لا النفاق في ما نعيش. صورة التضخُّم إلى حدّ الانفجار عبر نفخة الداء تستنجد بمرجعية الدواء، فأيهما داء وأيهما دواء «أبشرة» الإنسانية، أو أنسنة البشرية: ليس لنا إلا تأمل البشر وعدم إطلاق الأحكام على الإنسانية.»

الفصل الثاني :

نزلاء القفار

«وإذا بُليتَ بظالمٍ كُنْ ظالماً   وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل»

عنترة بن شدّاد